الفصل الأول

مقدمة عن علم الرؤى والتفسير

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

مقدمة عن علم الرؤى والتفسير

تعريف الرؤى والأحلام من حيث اللغة

الرؤيا هي ما يراه الشخص في منامه، وهي بوزن فُعلى، وقد تسهل الهمزة، وقال الواحدي: هي في الأصل مصدر كاليسرى، فلما جعلت اسمًا لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء، وقال الراغب: والرؤية بالهاء إدراك المرء بحاسة البصر[١].

ويقال لمن كثرت رؤاه كلمة (أَرْأى)، وفق ما ورد في المعجم الوسيط.

والحُلْمُ والحُلُم: الرُّؤْيا، والجمع أَحْلام، يقال: حَلَمَ يَحْلُمُ إذا رأَى في المَنام. وحَلَمَ به، وحَلَمَ عنه، وتَحَلَّم عنه، رأَى له رُؤْيا أو رآه في النوم. وتُضَم لامُ الحُلُم وتسكن، وقال الجوهري: الحُلُمُ بالضم ما يراه النائم، وتقول حَلَمْتُ بكذا وحَلَمْتُه، أيضًا، قال (والبيت للأخطل):

فَحَلَمْتُها وبنُو رُفَيْدَةَ دونها ... لا يَبْعَدَنَّ خَيالُها المَحْلُومُ[٢]

ونسأل هنا: كم مرَّةً وردت كلمة أحلام في القرآن؟ وردت هذه الكلمة في القرآن مرتين:

١- في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤].

٢- وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاي: ابن حجر، (٤٣٧/١٢)، كتاب التعبير، باب أول ما بُدئ به رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الوحي الرؤيا الصالحة، المحقق: عبدالعزيز بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(٢) لسان العرب: ابن منظور، (ص ٩٧٩)، باب الحاء (حلم)، دار المعارف، القاهرة.

والآية الأولى: في شأن يوسف مع الملك.

والثانية: في حكاية سخرية مشركي العرب بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونسأل أيضًا: كم مرة وردت كلمة رؤيا في القرآن؟ وردت كلمة الرؤيا في القرآن أربع مرات هي كالآتي:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

٣- قوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٥].

٤- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ [الفتح: ٢٧].

والآية الأولى: في شأن الملك مع يوسف.

والآية الثانية: المراد بها رؤيا عين أُرِيَها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة أسري به إلى بيت المقدس، حيث أراه الله من آياته وعجائب صنعه وخلقه.

والثالثة: في شأن إبراهيم حين أراد ذبح إسماعيل.

والرابعة: في شأن رؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام حين رأى أنه سيدخل مكة معتمرًا.

تعريف الرؤى عند العلماء المسلمين

انطلق العلماء المسلمون في تعريف الرؤيا من النصوص الشرعية، خاصة تلك التي فرَّقت بين الرؤيا وغيرها مما يراه الإنسان في منامه، ومن هذه النصوص التي انطلق العلماء في تعريفاتهم منها حديث أبي قتادة المتفق عليه: «**الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان**»[١].

(١) فتح الباري، (١٢/ ٤٥٦-٤٥٧)، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله.

ومذهب أهـل السنة في ذلك أنَّ الرؤيا: مجموعة من الاعتقادات والإدراكات التـي يلقيها الله في قلب العبد على يد مَلَك أو شيطان، إما بأسمائها أي حقيقتها، وإما بكناها، وإما تخليطًا.

وقـال ابن العربـي: وهذا يشبه في حـال اليقظة الخواطر الـواردة على فكر الإنسـان وقلبـه، فإنها تأتي على نسق، أي على نظـام واحد، وقد تأتي على خلاف ذلك مسترسلة غير مُحَصَّلة، فإذا خلق الله من ذلك في المنام على يدي الملك شيئًا كان وحيًا منظومًا وبرهانًا مفهومًا»[١].

وعرفهـا المـازري فقال: مذهب أهـل السنة في حقيقـة الرؤيا أنَّ الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يفعل ما يشاء، لا يمنعه نوم ولا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علمًا على أمور أُخَر يخلقها في ثاني الحال، أو كان قد خلقها»[٢].

وعُرفـت بأنهـا: اعتقادات يخلقهـا الله في قلب النائم، كمـا يخلقها في قلب اليقظـان فإذا خلقها فكأنه جعلها علمًا على أمور أخرى، فيخلقها في ثاني الحال، وتلـك الاعتقادات تارةً تقع بحضرة الملك فيقـع بعدها ما يَسر، وتارةً تقع بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر[٣].

والحقيقـة أن المتأمـل في التعريفات يلحظ أنها متشابهـة إلى حد كبير، كما يلحـظ الإشـارة إلى التفريق بـين نوعين من أنواع ما يرى الإنسـان في منامه، كما يلحظ أنَّ الحديث أشار بقوله: «**الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان**»، إلـى أنَّ الله يخلق الرؤيـا والاعتقادات التي جعلها علمًا علـى ما يَسر بغير حضرة الشيطان، ويخلق ما هو علم على ما يضر بحضرة الشيطان، فيُنسب إلى الشيطان

(١) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: الإمام الحافظ ابن العربي المالكي، (١٢٣/٩).
(٢) المعلم بفوائد مسلم: أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر المازري، (٢٠١/٣)، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، بيت الحكمة، تونس، ط١، ١٩٩١م.
(٣) المرجع السابق.

مجـازًا لحضوره عندها، وإن كان لا فعل له حقيقة، وهذا معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرؤيا من الله والحلم من الشيطان**»، لا على أنَّ الشيطان يفعل شيئًا[١].

وقـال بعض العلمـاء: إنَّ الشيطـان له فعـلٌ وتأثـيرٌ مباشـر؛ بدليل حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: رأيت كأن عنقي ضربت، قـال: «**لمَ يحـدث أحدُكم بتَلَعُّبِ الشيطـان؟**»[٢]، وفي لفظ عند الإمام مسلم، قال: يا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رأيـت في المنام كأن رأسي ضُرب فتدحـرج، فاشتددت على أثره، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك**»، وقال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدُ يخطب، فقال: «**لا يحدثنَّ أحدكم بتلعب الشيطان به في منامه**»[٣]، واللفظ في مسلم بشرح النووي: قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، رأيت في المنام كأن رأسي...

قـال الإمام محمـد السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: المـراد بتلعب الشيطـان أنه يريه في منامـه ما يحزنه، ويُدْخلُ عليه الهمَّ والغيـظ، ويُخَلِّطُ عليه رؤياه، فهو يتلاعب به، يقال لكل من عمل عملًا لا يجد عليه نفعًا: إنما أنت لاعب[٤].

قال: وفي حديـث الاستنجاء قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الشيطـان يلعب بمقاعد بني آدم**»، أي إنه يحضر أمكنة الاستنجاء ويرصدها بالأذى والفساد؛ لأنها مواضع يُهجر فيها ذكر الله، ويُكْشف فيها العورات، فأُمر بسترها، والامتناع عن التعرض

---

(١) المرجع السابق، بتصرف.

(٢) مسند الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل، (٤٠٦/١١)، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. (إسناده صحيح)

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٢٠/٧)، باب لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام، تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي، المكتبة القيمة، الناشر دار الغد العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٤) شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، (١/ ١٣٧)، مسند جابر، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

لنظر الناظرين ومهابِّ الريح ورشاشِ البول، وكلٌّ ذلك من لعب الشيطان[١]. وهذا الرأي هو الصحيح؛ فيكون الحلم من الشيطان حقيقة، فهو الذي يصوره للإنسان حقيقة لا مجازًا، وهذا من عداوته الدائمة والمعلنة للإنسان، فالفعل إذًا نسبته إلى الشيطان حقيقة، لا مجازًا.

قال سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقبل كل شيء نُقرِّر أنَّ معرفةَ طبيعتها أو عدم معرفته لا علاقة له بإثبات وجودها وصدق بعضها. إلى أن قال: ونحن نتصورُ طبيعة هذه الرؤى على هذا النحو... إنَّ حواجز الزمان والمكان هي التي تحولُ بين هذا المخلوق البشري وبين رؤية ما نسميه الماضي والمستقبل، أو الحاضر المحجوب، وأنَّ ما نسميه ماضيًا أو مستقبلًا إنما يحجُبُه عنا عاملُ الزمان، كما يحجب الحاضرَ البعيدَ عنا عامل المكان. وأنَّ حاسَّةً ما في الإنسان لا نعرف كُنهها تستيقظ أو تقوى في بعض الأحيان، فتتغلَّبُ على حاجز الزمان، وترى ما وراءه في صورةٍ مُبهمة، ليست عِلْمًا ولكنها اسْتشفاف... إلخ[٢].

ثم قال: وأستطيع أن أكذِّب كل شيء قبل أن أكذِّب حادثًا وقع لي وأنا في أمريكا وأهلي في القاهرة، وقد رأيت فيما يرى النائم ابن أخت لي شابًّا، وفي عينه دم يَحْجُبها عن الرؤية، فكتبت إلى أهلي أستفسر عن عينه بالذات، فجاءني الردُّ بأنَّ عينه قد أصيبت بنزيف داخلي وأنه يُعالَج. ويلاحظ أنَّ النزيف الداخلي لا يُرى من الخارج، فقد كان منظر عينه لمَن يراها بالعين المجردة منظرًا عاديًّا، ولكنها كانت محجوبة عن الأبصار بالنزف الداخلي في قاعها، أما الرؤيا فقد كشفت عن هذا الدم المحجوب في الداخل[٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير الظلال: سيد قطب، تفسير سورة يوسف، (١٩٧٢/٤)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والعشرون، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٣) المرجع السابق، (في هامش الصفحة).

تعريف الرؤى عند العلماء غير المسلمين

أما بالنسبة إلى العلماء غير المسلمين فلهم أقاويل كثيرة منكرة في هذا الموضوع، وسبب ذلك أنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل الذي يحتكمون إليه في هذا الجانب وجوانبَ أخرى كثيرة، كما أنهم لا يؤمنون ولا يصدقون بالوحي ولا السمع، ولذلك اضطربت أقوالهم، فمن ينتمي إلى الطب فإنه ينسب جميع الرؤى إلى الأخلاط الأربعة؛ وهي البلغم والصفراء والدم والسواد، فمثلًا: يقولون من يغلب عليه البلغم يرى أنه يسبح في الماء، لمناسبة الماء لطبيعة البلغم، ومن تغلب عليه الصفراء يرى النيران، وهذا لم يقم عليه دليل ولا جرت عليه عادة. وما قالوه نوع من أنواع الرؤيا، وليست الرؤيا محصورة فيه، فإنا نعلم أنَّ منها ما يكون من النفس، ومنها ما يكون من الشيطان، ومنها ما يكون من الرحمن.

والفلاسفة يزعمون أنَّ صور ما يجري في الأرض هي في العالم العلوي كالنقوش؛ فما حاذى بعضًا منها انتقش في قلب النائم، وهذه نظرية أفلاطون المعروفة بنظرية المثل العليا، وهذا الرأيُ أشدُّ فسادًا من سابقه؛ لأن الانتقاش من صفات الأجسام، وما يجري في العالم العلوي أعراضٌ، والأعراض لا يُنْتقش فيها[1].

وقد حاول بعض العلماء غير المسلمين محاولة كشف سرِّ الأحلام، والوصول من خلالها إلى الحكم على النفس البشرية ودوافعها وميولها واتجاهاتِها، بل وعُقدِها.

وقد نشر العالم سيجموند فريد مؤلفه المسمَّى: **تحليل الأحلام**، عام ١٨٩٩م، ويرى أنه لما كان (الأنا) في حال اليقظة هو الذي يسيطر على قوة الحركة، فإنَّ هذه الوظيفة تتعطَّل في أثناء النوم، ومن ثم يتلاشى جزء كبير من الرقابة التي تفرض على الـ(هو) أو اللاشعور[2]. قال: وسَحْبُ الشحناتِ النفسية التي تقوم

(١) فتح الباري، (٤٣٨/١٢)، كتاب التعبير، باب أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، (بتصرف).

(٢) الصحة النفسية والعلاج النفسي: الأستاذ الدكتور حامد عبدالسلام زهران، (ص ٢٢٦)، عالم الكتب، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ط٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

بوظيفة الرقابة، أو إضعافُها، يسمح بشيء من الحرية التي تبدو الآن- يقصد حال الحلم- غير ضارة[١].

وقد استخدم (فرويد) تحليل الأحلام وسيلةً للوصول إلى أعماق اللاشعور، والكشف عن أسراره، ويعد فرويد الأحلام بمنزلة (الطريق السلطاني) إلى اللاشعور، الذي يحتوي على العقد والدوافع والرغبات المكبوتة[٢].

واهتمت العالمة (كارين هورني) بتحليل الأحلام، وهي ترى أنَّ الأحلام تزيد البصيرة حولَ الحالة، وتكشف عن بعض اتجاهات المريض نحو العالم[٣].

ويعتقد (إِيْرك فروم) أنَّ الأحلام تعكس العناصر المعقولة والعناصر غير المعقولة من الشخصية في الوقت نفسه[٤].

والمُلاحظ من هذا العرض الموجز لوجهة نظرهم هذه ما يأتي:

- تركيزهم على استخدام الأحلام وسيلةً للدخول إلى عالم المريض، ومعرفة سبب مرضه، أو حالته.
- أنهم يركِّزون فقط على ما يسمَّى بأضغاث الأحلام، وهي التي يفكِّر فيها الإنسان قبل نومه ثم يراها بعد نومه، أو يركزون على شيء لا علاقة له بالأحلام، وإنما هو ما يعملونه مع المرضى في العيادات النفسية بعد جعله يسترخي في العيادة ويُترك يتكلمُ عن نفسه وعن عمله وزوجته والمحيطين به، ويرصد الطبيب هذا الكلام، ويدخل من خلاله إلى شخصية هذا المريض، وهذا يختلف تمامًا عن الرؤى التي يراها الإنسان في منامه بواسطة مَلك الرؤيا.

يقول سيد قطب: تقول مدرسة التحليل النفسي عن طبيعة الرؤيا: إنها صور من الرغبات المكبوتة، تَتنفَّسُ بها الأحلام في غياب الوعي، وهذا يمثِّل جانبًا من

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق، (ص ٢٢٧).
(٣) المرجع السابق، (ص ٢٢٩).
(٤) المرجع السابق.

الأحـلام، ولكنه لا يمثلها كلَّها، وفرويـد ذاته- على كل تحكمُّه غير العلمي وتمحُّلِه في نظريته- يقرِّر أنَّ هناك أحلامًا تنبؤية[١].

يقـول محمـد علي قطـب مؤيدًا سيـد قطب: لقـد اعتمد (فرويـد) في أكثر تحليلاتـه واستنتاجاته على الرؤى، ثم قَعَّد من خلالها القواعد والأسس التي بنى عليهـا نظرياته في علـم النفس، ولكنـه- للأسف- كان يتجـه في الرموز والمعاني اتجاهًـا ماديًّـا، أو حيوانيًّا هابطًا، فـلا يُنْصف الإنسـان في إنسانيته، والرؤيا- لا شك- جزئية في حياة الإنسان اليومية، ولكنها في إطار من الغَيْبيَّة عن دنيا الواقع والمعايشـة الحياتيـة والممارسـة الحسِّيَّة، رؤيا ليسـت بالبصر ولكـن بالبصيرة، وحركةٌ ليست بالجوارح والأعضاء، ولكن بالحسِّ الشعوري فقط[٢].

ولعـلَّ خير من وضَّح لنا سبَب هذا القصور لدى علماء النفس في فهم الرؤى وإعطائهـا حقَّهـا، الإمامُ القرطبي، قال: سببُ تخليط غـير الشرعيين إعراضُهم عما جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم. وكفى بهذا ردًّا.

أنواع الرؤى

نلحـظ في عصرنـا هذا اهتمامًـا متزايدًا بالـرؤى، وقصِّها علـى المعبرين، وكثـيرًا ما تجد السـؤال عنها، وهل هي حلمٌ أم رؤيا، بل قـد تجد بعض العامة قد اقتحم هذا المجال، وأصبح عنده جدار تعبير الرؤيا شديد القصر يصعد عليه بين وقـت وآخر، ومـا هذا إلَّا من الجهل في الدِّين، والاستعجـال والجرأة على الفتوى؛ إذ إنَّ تعبـير الرؤى فتوى؛ بدليل قوله تعالى على لسان العزيز: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:٤٣]؛ فقولـه: ﴿أَفْتُونِي﴾، فيه دلالة على أنَّ تعبير الرؤيا فتوى يجب عدم القول بها من غير علم.

(١) تفسير الظلال: سيد قطب، (١٩٧٢/٤).

(٢) دليل الحيران في تفسير الأحلام: محمد علي قطب، (ص٥)، مكتبة القرآن، القاهرة.

والحقيقة أنَّ المتأمل في الرؤى وأقوال العلماء فيها يجد أنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

- الرؤيا المكروهة.
- رؤيا حديث نفس.
- الرؤيا الصادقة.

الرؤيا المكروهة

وهي ما يكون من فعل الشيطان، وإلقائه في النفس، مما يسمى بأضغاث الأحلام، التي ترجع إلى مكر الشيطان وخداعه وعداوته للإنسان، ومثال هذا النوع ما رواه مسلم في صحيحة من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أعرابيًّا جاءه فقال: إني حَلَمْتُ أنَّ رأسي قُطع فأنا أَتَّبعُهُ، فزجره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «لا تُخْبر بتَلَعُّب الشيطان بك في المنام»[(١)]، وفي رواية أخرى: قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ يخطُبُ فقال: «لا يُحَدثَنَّ أحدكم بتلعُّب الشيطان به في منامه»[(٢)].

قال الشيخ محمد بن صالح آل عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: أما أضغاث الأحلام فإنها مشوشة غير منظمة، والغالب أنَّ المرائي المكروهة من الشيطان، قال تعالى: ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[(٣)][سورة المجادلة: ١٠].

وهذا النوع من الرؤى له آداب ستة:

الأول: أن يتعوذ بالله من شرها، وهذا علته واضحة؛ فالاستعاذة مشروعة في كل أمر يكره.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٧/ ٢٢٠)، كتاب الرؤيا، باب لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام، حديث رقم ٥٨١٥.

(٢) المرجع السابق، حديث ٥٨١٦.

(٣) من كلام الشيخ العثيمين (بتصرف)، القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين، (٢/ ٣٤٨)، باب قول ما شاء الله وشئت (الرؤيا الصالحة)، دار العاصمة، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٥هـ.

الثاني: أن يتعوذ بالله من الشيطان؛ لحديث قتادة قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثًا، وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره**»[١]، وفي رواية عن جابر (ذكر الاستعاذة والبصق ثلاثًا)، قال: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**»[٢].

الثالث: أن يَتْفِلَ حين ينتبه من نومه عن يساره ثلاثًا، أي يبصق عن جانبه الأيسر ثلاث مرات، بَصْقًا خفيفًا، والسر في هذا- والله أعلم- كراهة لما رأى، وتحقيرًا للشيطان الذي أراه تلك الرؤيا على الصحيح بصورة حقيقية، وخصَّ اليسار لأنه محل الأقذار، والتثليث في رواية مسلم السابقة للتأكيد، وقد ورد بثلاثة ألفاظ:

التَّفْثُ: ويكون بلا ريق.

والتفلُ: ويكون معه رِيْقٌ لطيف.

والبصْقُ: ويكون معه ريق وأشد من التفل[٣].

الرابع: أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه حين رأى ذلك، إلى جنبه الثاني[٤]، والسبب في هذا: تفاؤلًا بتحويله وانتقاله، ولعلَّ هناك سببًا آخر؛ وهو مجانبةُ مكان الشيطان، ولكي تتحول الرؤيا من المكروه إلى المحبوب، وتنتقل من المُضرِّ إلى السَّار.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٧/ ٢٠٥)، كتاب الرؤيا، باب في كون الرؤيا من الله... إلخ، طرف من حديث رقم ٥٧٨٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (٧/ ٢٠٨)، كتاب الرؤيا، باب في كون الرؤيا من الله.. حديث: ٥٧٩٥.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٠٦/٧). وجاء لفظ التفل في حديث: ٥٧٩٤.

(٤) المرجع السابق، (ص ٢٠٨)، حديث: ٥٧٩٥.

الخامس: ألَّا يذكرها لأحد أصلًا، وقد جاء بذلك أحاديث صحيحة عدة، منها ما رواه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طريق أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال فيه: «ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»[(١)]، وقد تقدمت معنا قصة الرجل الذي تحدث برؤيا ضرب عنقه. فإن أبى إلَّا تعبيرها فلا يقصَّها إلَّا على مَن يثق به، أو ناصح له، أو على عالم؛ لكي يعبِّروها له بخير، مهما أمكنهم، ويرشدوه إلى ما يُعينه عليها وما ينفعه.

وقد يرد سؤال هنا: ما السرُّ في ذلك النهي؟

فأقول: السرُّ - والله أعلم- أنَّ المُحدَّث بها ربما فسرها بمكروه على ظاهر صورتها، ويكون ذلك محتملًا، فيقع بتقدير الله تعالى، ويدل على هذا حديث أبي رزين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الجامع الصحيح: «..... وهي على رجل طائر ما لم يُحدث بها، فإذا حدث بها وقعت»[(٢)]؛ والمعنى: أنَّ الرؤيا إذا كانت محتملة وجهين، فعبِّرت بأحدهما وقعت على قرب تلك الصفة، ويدل على ذلك ما جاء عن عبدالرزاق قال: الرؤيا تقع على ما يُعبر مثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها.

وقال الشيخ محمد بن ناصر الدِّين الألباني تعليقًا على حديث: «إنَّ الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبَّر، فإذا عُبرت وقعت»: الحديث صريح بأنَّ الرؤيا تقع على مثل ما تعبر، ولذلك أرشدنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ألَّا نقصَّها إلَّا على ناصح أو عالم أو مُحبٍّ؛ لأن المفروض فيهم أن يختاروا أحسن المعاني في تأويلها، فتقع على وفق ذلك، لكن مما لا ريب فيه أنَّ ذلك مقيد بما إذا كان التعبير مما تحتمله

---

(١) الحديث كاملًا: عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إذا رأى أحدكم رؤيا يُحبُّها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره. فتح الباري، (١٢/ ٤٥٧)، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله.

(٢) الجامع الصحيح: البخاري، (٤/٤٦٤)، كتاب الرؤيا، باب ما جاء في تعبير الرؤيا، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الفكر للطباعة، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. حديث حسن صحيح.

الرؤيا، ولو على وجهٍ، وليس خطأ محضًا، وإلَّا فلا تأثير له حينئذ، والله أعلم، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام البخاري في كتاب التعبير من صحيحه بقوله: باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب[١].

ويدل عليه قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر حين عبر له رؤيا: «أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا»[٢]، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبين ما أخطأ فيه أبو بكر، ولو بيَّن هذا الذي أخطأ فيه لكان تعبير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الثاني والأول يكون المعتمد، ولكن اتَّضح خطأ هذا.

ولذلك لا تَقُصَّ رؤاك عمومًا إلَّا على مَن تثق به، وبنصحه وعلمه ورأيه، وقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول: «لا تقصوا الرؤيا إلَّا على عالم أو ناصح»[٣]، وفي رواية: «إلا لبيبًا أو حبيبًا»[٤]. وفي رواية: «ولا تقصها إلَّا على وادٍّ»، بتشديد الدال؛ اسم فاعل من الود[٥].

وقال الشيخ الألباني: ومعنى الحديث السابق (الرؤيا على رجل طائر)، أنها لا تستقر ما لم تعبَّر، فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت، كما يسقط الشيء الذي يكون على رجل الطائر بأدنى حركة، وهذا تشبيه تمثيلي، حيث شبَّه الرؤيا بالطائر السريع طيرانه، وقد علق على رجله شيء يسقط بأدنى حركة.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٢٨/١)، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٩هـ.

(٢) فتح الباري، (ص ٥٣٤)، كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب.

(٣) الجامع الصحيح، (٤٦٥/٤)، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا ما يستحب منها وما يكره، مرجع سابق. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه الدارمي بإسناد صحيح عن أبي هريرة، وصححه الألباني.

(٤) جاء في عارضة الأحوذي، (١٣٢/٩)، باب ما جاء في تعبير الرؤيا: «ولا يحدث بها إلا لبيبًا أو حبيبًا»، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني.

(٥) صحيح سنن أبي داود: الألباني، (٢٣٣/٣)، كتاب ما جاء في الرؤيا، حديث: ٥٠٢٠. قال: حديث صحيح.

ومما يدل على إمكانية وقوع الرؤيا على وجهٍ تحتمله، ما رواه الدارمي في سننه في كتاب الرؤيا، بسند حسنٍ، عن سليمان بن يسار عن عائشة زوج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالت: كانت امرأة من أهل المدينة لها زوجٌ تاجر، فكانت ترى رؤيا كلما غاب عنها زوجها، وقلَّما يغيب إلَّا تركها حاملًا، فتأتي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فتقول: إنَّ زوجي خرج تاجرًا فتركني حاملًا، فرأيت فيما يرى النائم أنَّ ساريةَ بيتي انكسرت، وأنِّي ولدتُ غلامًا أعور، فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خير، يرجع زوجك عليك إن شاء الله تعالى صالحًا، وتلدين غلامًا بَرًّا**»، فكانت تراها مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك تأتي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيقول ذلك لها، فيرجع زوجها وتلد غلامًا.. فجاءت يومًا كما كانت تأتيه، ورسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غائب، وقد رأت تلك الرؤيا فقلت لها: عمَّ تسألين رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يا أَمَة الله؟

فقالت: رؤيا كنت أراها، فآتي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأسأله عنها فيقول: «**خيرًا**»، فيكون كما قال.

فقلت: فأخبريني ما هي؟ قالت: حتى يأتي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَأُعرِضَها عليه كما كنت أعرض. فوالله ما تركتُها حتى أخبرتني، فقلتُ: والله لئن صدقت رؤياك ليموتَنَّ زوجُك، وتلدين غلامًا فاجرًا! فقعدت تبكي، وقالت: ما لي حين عرضتُ عليك رؤياي؟

فدخل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهي تبكي، فقال لها: ما لها يا عائشة؟ فأخبرته الخبر وما تَأَوَّلتُ لها، فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَهْ يا عائشة، إذا عبرتم للمسلم الرؤيا، فاعبروها على الخير، فإنَّ الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها**».

فمات- والله- زوجها، ولا أراها إلَّا ولدت غلامًا فاجرًا[1].

(١) سنن الدارمي: الدارمي، (١/ ١٣٨٠- ١٣٨٢)، كتاب الرؤيا، باب في القمص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر وغير ذلك، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. (إسناده حسن)

الخلاصة التي نخرج بها من هذا، أنَّ الرؤيا إذا كانت محتملة وجهين، فعُبِّرت بأحدهما، وقعت على قرب تلك الصفة، ولذلك نهى يعقوب ابنه يوسف أن يقصَّ رؤياه على إخوته؛ خشية من كيدهم وحسدهم له؛ قال ابن حجر: نهى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يحدِّث بالرؤيا إلَّا مَن يحب؛ لأنه قد يُفسِّرها له بما لا يُحب؛ إما بُغضًا وإما حسدًا، فقد تقع عن تلك الصفة، أو يتعجل لنفسه من ذلك حزنًا ونكدًا، فأمر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك[١].

السادس: مما يطلب عند الرؤيا المكروهة أيضًا: الصلاة، ويدل عليه حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**إذا رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصلِّ ولا يحدِّث بها الناس**»[٢]. والحكمة- والله أعلم- أنَّ في الصلاة التجاء إلى الله من كل أمر ينوب العبد من المخاوف، كما أنَّ فيها تَحرُّزًا عن المكاره.

وذكر بعض أهل العلم أمرًا سابعًا، وهو: قراءة آية الكرسي، ولكن لا دليل له، ولو قرأ آية الكرسي في صلاته هذه يكون قد حقَّق الأمرين معًا؛ الصلاة وقراءة آية الكرسي.

وإن اقتصر على عمل بعض ما ذكر أجزأه في دفع ضررها بإذن الله تعالى، كما صرحت به الأحاديث، لكن الأفضل أن يفعلها جميعًا لكي يجمع بين الروايات.

قال ابن القيم في زاد المعاد: ومتى فعل ذلك لم تضره الرؤيا المكروهة، بل هذا يدفع شرها.

وقال النووي: إنَّ الله جعل ما ذكر سببًا للسلامة من المكروه المُترتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال، وجعل في الدعاء ردًّا ودفعًا للبلاء، والصدقة تدفع ميتة السوء، وكل هذا بقضاء الله وقدره[٣].

---

(١) فتح الباري، (٥٣٣/١٢)، كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٠٨/٧)، كتاب الرؤيا، باب في كون الرؤيا من الله.... إلخ.

(٣) قال النووي: إن الله تعالى جعل هذا سببًا لسلامته من مكروه يترتب عليها، كما جعل الصدقة وقاية للمال وسببًا لدفع البلاء، فينبغي أن يجمع بين هذه الروايات، ويعمل بها كلها، فإذا رأى ما يكرهه نفث عن يساره ثلاثًا قائلًا: أعوذ بالله من الشيطان ومن شرها، وليتحول إلى جنبه الآخر، وليصلِّ ركعتين، فيكون قد عمل بجميع الروايات، وإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضررها بإذن الله تعالى.
المرجع: صحيح مسلم بشرح النووي، (٢١٣/٧)، كتاب الرؤيا، باب في كون الرؤيا من الله.... إلخ.

رؤيا حديث نفس

وهي ما يكون من حديث النفس، وأعمال اليقظة، وقد يساعد عليها الانشغال النفسي، والإرهاق البدني، والإجهاد الفكري.

ومثال هـذا كثير وقوعه، بخاصة في هذا العصر الـذي كثرت فيه الشواغل، وطغـت فيه المـادة أحيانًا، وأعباء الحيـاة أحيانًا أخرى، فنجـد بعضهم قبل نومه يفكـر بصفقاته التجاريـة، وبعضهم يفكر بوظيفته الجديـدة، وبعضهم بامتحانه في الصبـاح الباكر، ولا أنسى النساء اللاتي يكـثر عندهن هذا النوع أيضًا؛ فتجد بعضهـن قبـل نومها تفكر بمشكلتهـا مع زوجها مثلًا، وهكـذا كل واحد من هؤلاء؛ ينـام ثم لا يلبث أن تتحول هذه الخواطر والهمـوم، أو الآمال والآلام، في داخل كل واحد منهم إلى منامات أو رؤى، وهذا وارد جدًا، ثم يتبع هذا سؤال كثير منهم عن هذه الرؤى، التي- كما أسلفتُ- لا تتعدى كونها أضغاث أحلام.

والأضغـاث في اللغة: المفرد منـه الضِّغثُ، وهو كل ما جمع وقبض عليه بجُمْع الكـف ونحـوه، وفي التنزيـل: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص: ٤٤]، ويقـال: أتانا بأضغاث مـن أخبار، أي بضروب مختلطة منهـا، وأضغاث الأحلام: ما كان منها مُلتبسًا مضطربًا يصعب تأويله، وسميت أضغاثًا لاختلاطها، فشبهت بأضغـاث النبـات؛ وهي الحزمة ممـا يأخذ الإنسـان من الأرض؛ فيهـا الصغير والكبير، الأخضر واليابس، وهكذا[1].

ويمكـن مـن خـلال العرض السابـق أن تلاحـظ أنَّ هـذه الأضغـاث ليست منضبطـة، بل هـي مُختلطَة مُلتبسة، وهذه- كما يرى بعضـ العلماء- تأتي للرائي بأحـد سببـين: (بـدنيٍّ) أو (نفسـي)؛ فإما أن يكـون المرء في وضـع صحي بدني منحـرف، أو في مزاج نفسي مضطرب، فينعكـس ذلك على الإنسان ورؤاه، فتختل وتضطرب وتكون أضغاثًا، وتنقسم إلى قسمين:

(١) المعجم الوسيط: مجموعة من المؤلفين، (ص ٥٤٠)، مادة ضغث، نشر دار الدعوة، القاهرة، ١٩٨٠م.

القسم الأول: أضغاث أحلام خاصة؛ أي خاصة بصاحبها فقط، وهذه تكثر لدى بعض الفئات في أوقات معينة؛ كالمرضى، وكالطلبة والطالبات قبيل الامتحان، أو قبيل مقابلة شخصية لدى إحدى المؤسسات التربوية كالجامعات مثلاً، وكالمقبلين على الزواج، والموظفين المقبلين على ترقية، وهكذا، وهؤلاء من خلال سؤالهم من قبل المعبِّر الحاذق يسهل اكتشاف نوع رؤاهم، وأنها لا تعدو أضغاث أحلام.

قال سيد قطب في ظلال القرآن: «وأضغاث الأحلام هي الأخلاط من الأحلام المضطربة، وليست رؤيا كاملة تحتمل التأويل، فهي لا تشير إلى شيء»[1]، ومثالها الصحابي الذي رأى رأسه مقطوعًا، وكمن يرى الملائكة تأمره بفعل المحرمات.

القسم الثاني: أضغاث أحلام عامة، وأقصد بالعامة هنا ما تكون ذات دلالة لعموم الأمة؛ كأن يكون فيها- في ظن صاحبها- بشارة عامة، أو إنذار عام، أو حدث عام؛ كأخبار السياسة، والميزانية، والرواتب، والإجازات، والحرب، ولا سيما إذا كانت هذه الأحداث، أو واحدٌ منها، قد طغى واستأثر بالجو العام، فتجد الرؤى تكثر عن هذا، انظر مثلًا الرؤى بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكثرتها إبان الحملة الأمريكية على أفغانستان، ولاحظ قوة الإعلام المسيطر والمُسيِّر لهذه الحملة، واسأل نفسك: أتأثيره في البشر قويٌّ شديد أم يسير؟ لقد سيطرت هذه الأحداث على الساحة، فلا صوت يعلو على صوتها، فأصبح سلطانها نافذًا على العقول، فإذا ما استسلمت للنوم تحولت لرؤى قد يظن صاحبها أنها بشارة أو خبر مفرح، خاصٌّ به أو عامٌ للأمة، ولا يخفى اليوم على كل ذي لبٍّ غلبة الهوى والجهل، والتعصُّب لرأي أو فئة، وقلَّة الورع والدِّين والتقوى في كثير من الناس، ثم إنَّ مثل مَن يرى هذه الرؤى يبحثُ عمن يَعْبُرها له، وقد يستبق الحدث فَيُرسلُها قبل السؤال عنها ببريده الإلكتروني أو بجواله، فتصبح حديث الساعة، وفاكهة المجالس بوقتٍ وجيز!!

(١) تفسير في ظلال القرآن، (١٩٩٣/٤) بتصرف يسير.

وأنا هنا لست ضدَّ فئة أو جماعة بعينها، ولكني ضدَّ الجهل، نعم، الجهل الذي قد يُسيِّر جماعةً أو طائفةً، أو حتى فردًا، بدعوى الرؤى، وفتنةُ الحرم، وما بُثَّ من بعض المقابلات والاعترافات لبعض المتورطين بها يؤيد ما ذكرته، وأنهم كانوا تحت سلطان الأوهام والأحلام، وهذا ينطبق على بعض الصوفية الذين ما فتئوا يستدلون برؤى جاءهم فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمرهم فيها ونهاهم، أو استحسن عملاً لهم، وهكذا جعلوها في درجة الوحي الذي فقده الصحابة بموت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووجده هؤلاء؛ قال ابن حجر: «النائم لو رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمره بشيء، هل يجبُ عليه امتثالُه ولا بُدَّ، أو لا بُدَّ أن يعرضه على الشرع الظاهر؟ فالثاني هو المعتمد. وشتان بين الثرى والثريا»[(١)].

نعم؛ من الرؤى ما يكون مبشرات لفردٍ أو جماعة، أو حتى أمة، ولكن هذا مشروط بشرطين:

الأول: وجود مرجع موثوق تُعرض عليه هذه الرؤى، كما عرض مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم رؤاهم حول ليلة القدر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**أرى رؤياكم تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر**»[(٢)]، وقد عنون البخاري في صحيحه (باب: التواطؤ على الرؤيا)، وقال الحافظ ابن حجر تعليقًا على الحديث السابق: ويستفاد من الحديث أنَّ توافق جماعة على رؤيا واحدة دالٌّ على صدقها وصحتها، كما تُستفاد قوةُ الخبر من التوارد على الأخبار من جماعة[(٣)].

والثاني: هو عدالة الرائي وصدقه، وعدمُ كونه ذا هوىً، أو ذا هدف، أو متهورًا، عاش قضيةً أو اقتنع بفكرةٍ، فسيطرت على تفكيره، فتمثلت له رُؤًى في منامه، وهنا أفرِّق بين الرؤى قبل الحدث، والرؤى حاله، أو بعده، ولا يخفى أنها

(١) فتح الباري، (٤١٨/١٢)، كتاب التعبير، باب من رأى النبي في المنام.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (٣٩٨/٤)، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها.
(٣) فتح الباري، (٤٦٩/١٢- ٤٧٠)، كتاب التعبير، باب التواطؤ على الرؤيا.

في حال الحدث أو بعده أوهى وأضعف منها قبله كما لا يخفى على كلٍّ مهتم بهذا الفن، فلا عبرة برؤيا ذي هوى، كما لا عبرة بتعبير ذي هوىً كذلك، فأين المرجع الذي يُقرُّ الرؤى كرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وأين مَنْ يُماثِلُ صحبه الكرام الأطهار؟

الرؤيا الصادقة

وهي ما يكون إلهامًا من الله للعبد، وقيدها بعض علماء الرؤى بقولهم: وذلك عندما تصفو نفسُه، وتتخلص سَريرتُه من أفكار السوء، ويتعلق قلبُه بذكر الله، فلا يرى إلَّا حقًّا وصدقًا، وتلك هي الرؤيا الصادقة التي توصف بأنها جزء من النبوة[١]، إذ يقول الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتفق عليه، وهو عند أحمد في مسنده أيضًا، من رواية أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»[٢]. ولي عند هذا الحديث وقفة مُطوَّلة؛ لاشتماله على بعض المسائل المهمة:

فأقول: هذا الحديث رُوي عن جماعة من الصحابة بألفاظ مختلفة، فروى حديثَ أنس هذا الشيخان، وروى الإمام أحمد والشيخان مثله عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك أبو داود والترمذي، ورواه الإمام أحمد والشيخان وابن ماجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبالنسبة إلى عدد الأجزاء فقد جاءت روايات عدة، أو جزء منها مقتصرًا على الشاهد فقط، كما جاء في شرح صحيح مسلم للنووي مفصلًا:

فقد جاء في البخاري ومسلم: «**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**».

---

(١) رؤى النبي عليه الصلاة والسلام: محمد عبدالعزيز الهلاوي، (ص٥)، دار الطلائع، القاهرة، طبعة ١٤١٢هـ.
(٢) فتح الباري، (١٢/٤٦١)، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة.

وجاء في مسلم: «**من خمسة وأربعين جزءًا**»، وجاء فيه أيضًا: «**من سبعين جزءًا**».

وجاء في الطبراني: «**جزء من ستة وسبعين جزءًا**».

ولابن عبدالبر رواية: «**من ستة وعشرين جزءًا**».

وعند الإمام أحمد: «**جزء من خمسين جزءًا**».

وجاء عند الترمذي: «**جزء من أربعين جزءًا**».

وعند الطبري: «**جزء من تسعة وأربعين جزءًا**»، وله أيضًا: «**من أربعة وأربعين**».

وجاء أيضًا عن ابن عباس: «**جزء من أربعين جزءًا**».

ونحن هنا أمام روايات متعددة، أقلُّها جزء من ستة وعشرين، وأكثرها جزء من ستة وسبعين، قال القاضي: أشار الطبري إلى أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف حال الرائي، فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزءًا من ستة وأربعين جزءًا، والفاسق جزءًا من سبعين جزءًا، وقيل المراد أنَّ الخفي منها جزء من سبعين، والجلي جزء من ستة وأربعين[1]؛ فالاختلاف بحسب مراتب الأشخاص، وكلما قلَّت الأجزاء كانت الرؤيا أقرب إلى الصدق.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كون الرؤيا الصالحة جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة: هذا موافقٌ للواقع بالنسبة إلى الوحي الذي أُوحي إلى النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن أول الوحي كان بالرؤيا الصالحة من ربيع الأول إلى رمضان، وهذا ستة أشهر، ثم أوحى الله إليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته، فإذا نسبت هذا إلى بقية زمن الوحي كان جزءًا من ستة وأربعين جزءًا؛ لأن الوحي كان ثلاثًا وعشرين سنة وستة أشهر[2].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢١٥/٧)، كتاب الرؤيا، باب في كون الرؤيا من الله... إلخ.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد: شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (٣٤٨/٢) بتصرف.

وقد أشكل كون الرؤيا جزءًا من النبوة مع أنَّ النبوة انقطعت بموت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسأذكر بعضًا مما قيل في توضيح هذا.

قال القرطبي: معنى كونها جزءًا من النبوة أنَّ المسلم الصادق الصالح يناسب حاله حال الأنبياء، وهو الاطلاع على الغيب، بخلاف الكافر والفاسق والمُخلِّط[١]، وتعقب هذا القول الإمام محمد السفاريني بقوله: «بل يشابه حال الأنبياء في صحة رؤياه وصفاء خاطره، واتصال روحه في حال نومه بعالم الملكوت»، وهذا هو الصحيح؛ فلا يعلم الغيب إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقال بعض العلماء: مَعْنى كونِها جزءًا من أجزاء النبوة على سبيل المجاز، وهو أنها تجيء على موافقة النبوة؛ وذلك لأنها جزء من النبوة[٢].

وقيل: المعنى أنها جزء من علمها، لأنها وإن انقطعت النبوة فعلمها باقٍ[٣].

وقيل: معنى كونها جزءًا من أجزاء النبوة مشابهتها في صدق الإخبار عن الغيب، والخبر بالغيب أحد ثمرات النبوة[٤].

والخلاصة من هذا العرض: أنَّ رؤيا الكافر لا تُعدُّ أصلًا من أجزاء النبوة، وبعده الفاسق وهو مثل الكافر، وذكر بعضهم أنَّ رؤيا الفاسق تُعدُّ من أقصى الأجزاء، فيبقى المسلم الصالح والمؤمن، وهو الذي رؤياه من هذا النوع، يقول الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يعلِّق على هذا الحديث: «هذا الحديث عندي من الأحاديث المتشابهة التي نؤمن بها وَنكِلُ معناها المراد إلى قائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نخوضُ في تفسير هذا الجزء من هذا العدد ولا حكمته، خصوصًا وقد اختلفت الروايات في كمية العدد، كما تقدم، فالله أعلم بالمراد بالمقصود من ذلك[٥].

---

(١) ثلاثيات مسند الإمام أحمد: محمد السفاريني، (٨٠٨/١).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.

والرؤيا الصالحة من أقسام الوحي، وقد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام، ومن ذلك رؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد كان إبراهيمُ نذر إنْ رزقه الله ولدًا من سارة أن يذبحه قربانًا، فرأى في المنام أن أوفِ بنذرك، ومنها كذلك حديث الطفيل أخي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لأمها حول قول ما شاء الله وشاء محمد، وأَمرَهُم الرسول بعدها أن يقولوا: ما شاء الله وحده، أو ما شاء الله ثم محمد، ولا يقولوا: ما شاء الله ومحمد[١]، ورؤيا عبدالله بن زيد في الأذان، وتشريع الأذان بعدها، وقد ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال عنها: إنها رؤيا حق[٢].

كذلك أثبت أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رؤيا من رأى ثابت بن قيس بن شماس حول درع سلبت منه بعد موته، واستردادها بهذه الرؤيا، وتنفيذ الوصية بها، وانتزاع الدرع ممن هي في يده بها، ولكن أبا بكر الصدِّيق هو أول الخلفاء الراشدين، وهو ممن زكَّاه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاجتهاده في هذا، وقبول الصحابة لهذا الاجتهاد، بوجود القرائن الدالة على الصدق، مقبولٌ، ويوجد كثير من الشواهد على مثل هذا في كتب الفقه. أما اليوم فتنفيذ وصية أو أمر له علاقة بالشرع من خلال الرؤى غير جائز لا عقلًا ولا شرعًا، كما لا يخفى على كل ذي لب.

وهذه الرؤيا الصالحة جاءت من هذا الصحابي الجليل لتؤكد لنا وجودها من الرجل الصالح كما أقَرَّ هذا علماء هذا الفن تأسيسًا على حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال فيه: «**وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا**».

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رؤيا المؤمن جزء من..**» الحديث، يشمل المرأة المؤمنة الصالحة كذلك، وقد عنون البخاري في صحيحه: باب رؤيا النساء، وأورد ابن حجر: ما ذكره ابن بطَّال من الاتفاق على أنَّ رؤيا المؤمنة الصالحة داخلة في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رؤيا المؤمن الصالح جزء من أجزاء النبوة**»، فلا فرق بين

(١) يأتي تخريجه.
(٢) يأتي تخريجه.

الرجل والمرأة من حيث الرؤى، ولكن قد يوجد الفرق من ناحية التعبير، فالمعبرون يقولون: إن المرأة إذا رأت ما ليست له أهلًا، فهو لزوجها، وقالوا: كذلك الطفل؛ رؤياه غالبًا تكون لأبويه، والله أعلم.

وأعود لقصة ثابت بن قيس بن شماس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من خيار الصحابة رضوان الله عليهم، وقد ثبت أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**يا ثابت، أما ترضى أن تعيشَ حميدًا، وتُقتلَ شهيدًا، وتدخل الجنة؟**» قال مالك ابن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وهو أحد رواة الحديث-: فقتل ثابت بن قيس يوم اليمامة شهيدًا.

وقصة ثابت هذا ذكرها ابن القيم في كتاب **الروح**، قال: «فلما كان يوم اليمامة، وهي الحرب ضد المرتدين، خرج ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قتال مسيلمة، فلما التقوا وتكشفوا قال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة رضوان الله عنهما: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم حفر كل واحد له حفرة، فثبتا وقاتلا حتى قُتلا، وعلى ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومئذ درعٌ له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين فأخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه في منامه -أَيْ ثابت- فقال له: أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فَتُضيِّعه، إني لمّا قُتلت مرَّ بي رجل من المسلمين فأخذ درعي، وَمنزلُه في أقصى الناس، وعند خبائه فرسٌ يَسْتنُّ- أي يعدو بمرح ونشاط- وقد كفأ على الدرع بُرْمَةً- أي قدرًا من الحجارة- وفوق البرمة رَحْلٌ- وهو ما يوضع على ظهر الدابة للركوب- فَأْتِ خالدًا، فَمُرْهُ أن يبعثَ إلى درعي فيأخذَها، وإذا قَدِمْت المدينة على خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني أبا بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقل له: إنَّ عَليَّ من الدَّين كذا وكذا، وفلانٌ من رَقيقي عَتيقٌ، فأتى الرجل خالدًا، فأخبره، فبعث إلى الدرع فَأُتي بها، ووجدها كما أخبرهم في الرؤيا تحت البرمة وعندها الفرس بوصفه، وأجاز أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باقي وصيَّته.

قال أبو عمر بن عبد البر وغيره من الأقدمين، وكذلك الشيخ محمد بن صالح آل عثيمين حديثًا، رحمة الله عليهم: أجاز أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصِيَّتَهُ لوجود القرائن التي تدُلُّ على صدقها، قال أبو عمر بن عبد البر: ولا نعلم أحدًا أُجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه. ا. هـ.

إذًا كما نلاحظ: اتفق خالد بن الوليد، وأبو بكر الصدِّيق، والصحابة رضوان الله عليهم معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ ما جاء فيها.

الرؤيا العامة

يجد الباحث في علم التعبير بعض المسائل المتعلقة به أحيانًا عامة وعائمة، تحتاج إلى التوضيح وإزالة اللبس، ولن يتأتى هذا للباحث إلا بعد القراءة المتأنية للنصوص الأصيلة، ومحاولة استنباط ما قد يوجد فيها من إشارات أو دلالات.

وبعد هذه المرحلة فقد يفتح الله على المرء، خاصة مع صدق النية، ومع التضرع لله أن يدله على الحق، فيصل بعون الله إلى الفهم الدقيق، واكتشاف كثير من الأمور التي يزول بها هذا اللبس أو الوهم في كثير من المسائل التي كانت ولا تزال موجودة في هذا العلم.

ولا بد هنا من ذكر مسألة مهمة في هذا الفن، وهي قضية الرؤى العامة، فأنت أحيانًا يستوقفك معبر من المعبرين، يُسأل عن رؤيا من الرؤى، إما في جلسة خاصة أو عامة، فتجده يعبرها ويصدر تعبيرها بقوله: هذه رؤيا عامة، ثم يوقع التعبير على حدث عام يهم دولًا أو دولة، أو شعبًا أو شعوبًا، كأن يقول: هذا يدل على نصر في حرب، أو سقوط دولة معينة، أو علامة كونية عامة، ونحوها من أمور تنصرف دلالتها للعموم وليس للخصوص.

وهذه المسألة موهمة جدًّا، ومدعاة للخطأ، وهي من أعظم ما يسبب البلبلة بين الناس؛ لأخذهم عادةً كلام المعبر بالتصديق، وهي أيضًا بالمناسبة من أكثر

الأمور التي يجب الحذر منها والبعد عنها؛ ولا سيما إذا كان التعبير على أمر غير سار؛ لأن خطره وأثره حال وقوعه سيكون وقتها واقعًا على جماعة من الناس أو على شعب من الشعوب، عكس ما لو كان التعبير منحصرًا في أفراد.

ودعونا نتأمل مثالًا رئيسًا في هذا النوع، وهو نصح يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام لفرعون في مصر القديمة، حيث رأى فرعون رؤيا عظيمة، جاء ذكرها في القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣ - ٤٩].

وبذلك التعبير العجيب أنقذ سيدنا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مصر من مجاعة كبيرة وشديدة، فما الذي جعل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يصرف معنى هذه الرؤيا للعموم؟

بظني أن الإجابة عن هذا التساؤل هي الهدف الرئيس لهذا المقال، والذي يظنه كاتب المقال، فهذا الأمر هو أن الرائي يلي ولاية عامة، ورؤيته لهذا السبب ذات مدلول عام في الغالب.

ولو قدر أن رأى مثل هذه الرؤيا إنسان من عامة الناس، فحينها سيختلف جذريًّا تأويلها؛ من المعنى العام إلى المعنى الخاص بصاحب الرؤيا حسب حالته الوظيفية والاجتماعية؛ لذا فالذي يظهر لصاحب المقالة أن الرؤى العامة غالبًا

تكون لدى من يلي للناس ولاية عامة، كالحكام والملوك والرؤساء والأمراء والوزراء والقضاة، ونحو هؤلاء ممن يكون عادة لهم أعمال يباشرون فيها مصالح الناس.

الأشياء التي تمنع الرؤيا

١- عدم الاهتمام بتقليم الأظافر؛ فطول الأظافر يمنع الرؤيا؛ ذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسأل صحابته: «هل رأى أحدكم البارحة رؤيا؟»، فيقصونها عليه فيعبرها لهم، ثم سألهم أيامًا فلم يقص عليه أحد منهم رؤيا، فقال لهم: «كيف ترون في أظفاركم الرفغ؟»، وذلك أن أظفارهم قد طالت، وتقليمها من الفطرة.

٢- روي أن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت إذا أخذت مضجعها قالت: اللهم إني أسألك رؤيا صالحة صادقة غير كاذبة، نافعة غير ضارة، حافظة غير ناسية.

٣- وفي بعض الأخبار أن من سنة النائم أن يقول: اللهم إني أعوذ بك من الاحتلام، وسوء الأحلام، وأن يتلاعب بي الشيطان في اليقظة والمنام.

ملك الرؤى

سبق لنا تعريف الرؤيا، واستخلصنا من تعريفها أنها أفعال مضروبة يضربها الملك الذي وكله الله بالرؤيا، ليستدل بها الرائي بما ضرب له من المثل على نظيره، ويعبر منه إلى شبيهه؛ لذا سُمي تأويلها تعبيرًا.

وهذا الملك قيل إن اسمه (صديقون)، ولم أقف على خبر صحيح بهذه التسمية، وإنما جاءت في بعض النقول ببعض الكتب دون إسناد لها صريح وصحيح، والصحيح أن نقول: ملك الرؤيا، أو الملك بلا تخصيص اسم، بدليل الحديث الآتي: عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رأيت كأني أُتيت بكتلة تمر فعجمتها في فمي، فوجدت فيها نواة آذتني فلفظتها، ثم أخذت

أخرى فعجمتها في فمي فوجدت فيها نواة فلفظتها، ثم أخذت أخرى، فوجدت فيها نواة فلفظتها. فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني فلأعبرها، قال: عَبِّرها، قال: هو جيشك الذي بعثت، يسلم ويغنم، فيسلمون ويغنمون، فيلقون رجلًا فينشدهم ذمتك فيدعونه، ثم يلقون رجلًا فينشدهم ذمتك فيدعونه، ثم يلقون رجلًا فينشدهم ذمتك فيدعونه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كذلك قال الملك**»[1]؛ فالرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطلق عليه (الملك) ولم يسمه، ولو كان له اسم لسماه كما سمى غيره من الملائكة؛ مثل جبرائيل وإسرافيل وميكائيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وغيرهم.

وقد ورد عن هذا الملك بعض من الأوصاف التي لم أقف على صحتها؛ ومن ذلك أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمئة سنة. وقال ابن حجر في الفتح: قال الحكيم: وكل الله عَزَّوَجَلَّ بالرؤيا ملكًا اطلع على أحوال بني آدم من اللوح المحفوظ، فينسخ منها ويضرب لكل على قصته مثلًا، فإذا نام الإنسان مثل له الملك الأشياء على طريق الحكمة، لتكون له بشرى، أو نذارة، أو معاتبة.

التعبير والمعبرون

تطلق كلمة (تعبير) على تفسير الرؤيا خاصة، والتعبير هو: العبور من ظاهر الرؤيا إلى باطنها، وهذا رأي الراغب.

وقيل: النظر في الشيء فيَعْتبر بعضَه ببعض حتى يحْصل على فهمه، وهذا حكاه الأزهري.

وأصل التعبير مشتق من العَبْر، وهو التجاوز من حال إلى حال، وفرَّق علماء اللغة بين تجاوز الماء وغير الماء، فقالوا: تجاوز الماء بسباحة أو سفينة أو غيرها يطلق عليه: العُبُور. وقالوا: الاعتبار والعِبْرة هي الحالة التي يُتَوصَّل بها من معرفة

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي، (٢٦٦/٧)، كتاب التعبير، باب فيما رآه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. (ورواه الإمام أحمد، وفيه مجالد بن سعيد وهو ثقة، وفيه كلام).

المشاهَـد إلى مـا ليس بمشاهد، يقال: عَـبَرْتُ بالتخفيف أي فسـرت الرؤيا، وعَبَّرْت بالتشديد للمبالغة في ذلك[١]، وفي التنزيل: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]؛ أي تصلون إلى نهايتها وتذكرون مآلها.

والمعـبِّر اسـم فاعل من الفعل عـبر، يقال: عبر الرؤيا يعبرهـا عَبْرًا وعبارةً وعبَّرهـا أي فسرها، وأخبر بما يؤول إليه أمرهـا، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾، والعابـر الذي ينظر في الكتاب فيعـبره؛ أي يعتبر بعضه ببعض حتى يقع فهمه عليه، ولذلك يقال عبَرَ الرؤيا واعتبر فلان كذا.

وعـبرت النهر والطريـق أعبره عبرًا وعبـورًا إذا قطعته من هـذا العبر إلى ذلـك العبر، فقيل لعابر الرؤيا عابر لأنه يتأمل ناحيتي الرؤيا فيتفكر في أطرافها، ويتدبـر كل شـيء منها، ويمضي بفكـره فيها من أول مـا رأى النائـم إلى آخر ما رأى[٢]. وقـد كان أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أبرز الصحابة شهرةً بتأويل الرؤى وتعبيرهـا، وكيـف لا وأستاذه هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلِّـمُ الأمة جميعها؟ قد وصفه أحد الصحابة فقال: «وكان من أعبر الناس للرؤيا بعد رسول الله»[٣].

ومـن الذين اشتهروا بتعبير الـرؤى الإمام أبو بكر محمد بـن سيرين، الأنصاري بالولاء، البصري، المولود سنة ٣٣هـ، والمتوفى سنة ١١٠هـ، ويُنْسب له كتاب **تعبير الرؤيا**، وهـو مطبوع، وذكـره ابن النديم في **الفهرست**، وهو غير الكتاب المتـداول بين الناس له باسـم: **مُنتخب الكلام في تفسير الأحلام**، وانظر **الأعـلام** للزركلي تجد ترجمة وافية، وعملًا جبارًا للزركلي، وانتهى فيه إلى عدم صحة نسبة الكتابين إلى ابن سيرين[٤].

وهناك عالم آخر هـو: عبدالغني بن إسماعيل النابلسي، وهو من المتصوفة، ولـه عديـد من المؤلفات، ومنها: **تعطـير الأنام في تعبير المنـام**، ويحتوي على أمور

---

(١) فتح الباري، (٤٣٧/١٢)، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي الرؤيا الصالحة.
(٢) لسان العرب: ابن منظور، (٢٧٨٢)، طبعة دار المعارف.
(٣) الفتح: ابن حجر، ٤٣٤/١٢.
(٤) الأعلام، ٢٥/٧.

وتصـورات وأسماء وذوات قد لا تحدث إلا نادرًا، وقد يستحيل رؤية بعضها الآخر، وهـذا وإن كان من المتصوفة غير أنه- والحق يقال- قد أوفى وزاد في هذا المجال، وقـد أثنـى على علمه كثير من الأدبـاء؛ كالأستاذ محمد قطب، ثـم أقول: إنني في هذا الجـزء سأتحدَّث عن مناهـج المعبرين، والأمور اللازمة التـي يجب توافرها في المعـبر، وقبل هذا أَلْفِتُ إلى وجود كثير مـن المعبرين حديثًا وقديمًا، ولست هنا أبحـث في أسمائهم، وإنمـا سأتحدث عن المنهج الذي عليـه كثير منهم من خلال متابعتي لهذا الموضوع؛ فأقول:

معبرو الرؤى حديثًا ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسـم الأول: لا يُعـبِّر أصحابـه إلَّا قليلًا، ويتحرَّج من التعبـير، ويُغلق بابَ تعلـم التعبـير، وإن سئل سؤالًا عن التعبير وكيفيته أجاب أنه فراسة تولَدُ مع المرء، ويمنع من تعلمه، ووجهة النظر هذه سمعناها قديمًا من بعض مشايخنا الأفاضل، رحم الله من مات منهم، وبارك لنا في عمر الموجودين.

القسـم الثـاني: وهؤلاء عكس القسم الأول؛ إذ يتوسعون في التعبير، ويكثرون مـن السؤال عن الرؤى في كل مجلس، بالمشافهة والنقل، وحتى بالكتابة لصاحبها أو لغيره، وبعض هؤلاء تجده يخبرك بالتأويل وكيفية التأويل للرؤيا المسؤول عنها.

القسم الثالث: قسم بين هؤلاء وهؤلاء؛ يُعبِّر ولكن بالمشافهة فقط، ويشترطُ كونَ صاحب الرؤيا هو السائل، ويمنعُ النقلَ إلَّا في أضيق الحدود، وهؤلاء يحتاطون كثيرًا في التعبير؛ ويخبرونك عن كيفية التأويل أحيانًا.

ولعـلَّ التساهل في تعبير الرؤى، وفتح البـاب في كل مجلس ومحاضرة، شيء حادث في هذه الأيام، وأنا هنا لست ضدَّ تعبير الرؤى بصفة ذلك علمًا، ولكني ضد التساهـل في التعبير، وعدم التحري، وعدم السؤال عـن حال الرائي والسؤال عن الرؤيا وألفاظِها ووقتِها؛ فهذه أشياءُ مطلوبة للمعبر للتمكن من التعبير الأمثل؛ لذا

تجد من المعبرين الذين يتساهلون في سماع الرؤى ينصُّ على أنَّ درجة الصحة في تعبيره بالقراءة عليه لا تتجاوز خمسين في المئة!!

ولا أقول إنَّ المتساهلين هم الملامون فقط، بل إنَّ أصحاب القسم الأول- في رأيي المتواضع-كذلك مخطئون؛ فتعبير الرؤى ليس فراسة فحسب، بل فراسة، وتعلُّم، وممارسة، ومهارة تُكتسب وتُنَمَّى وتتقن، فهي تختلف من شخص إلى آخر؛ نعم هي فراسة كما عند يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦]، قال ابن عباس في تفسيره: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]: أي من تعبير الرؤيا، ويعلمك كذلك معرفة ما يؤول إليه أحاديث الناس(١).

وهي أيضًا فراسةٌ عند يعقوب، وعند إبراهيم الخليل، ودانيال، ومحمد، عليهم الصلاة والسلام، هذا من الأنبياء، وكذلك من الصحابة عند أبي بكر الصدِّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وسلمان الفارسي، وحذيفة ابن اليمان، وعائشة بنت أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وغيرهم.

ولكن عند غيرهم لا، ليس كلُّها فراسةً، بل فيها فراسةٌ وإلهامٌ، واستنباط من القرآن والسنة واللغة والأمثال، وغيرها مما هو معلوم لكل مهتمٍّ بهذا الفن.

جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لم يَبْق من النبوة إلَّا المبشرات**»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»(٢)، وجاء في صحيح مسلم: قال رسول

(١) تنوير المقاس من تفسير ابن عباس: الفيروزآبادي، (ص ١٩٣)، دار الفكر، بيروت.
(٢) فتح الباري، (١٢/٤٦٤)، كتاب التعبير، باب المبشرات.

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له**»[١]، والمعنى أنَّ الوحي ينقطع بموته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يبقى من علم ما سيكون إلَّا الرؤيا يراها المؤمن، وكذا الإلهام فإنَّ فيه إخبارًا بما سيكون، ويقع لغير الأنبياء كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: «**قد كان يكون في الأمم قبلكم مُحَدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم**»[٢].

هل للفراسة علاقة بتعبير الرؤيا؟

نعم، وعلاقة مباشرة، وإليك الجواب مفصلًا:

الفراسة في اللغة مشتقة من قولهم فرس السَّبُعُ الشاة، فكانت الفراسة عبارة عن اختلاس العارف، وأُطلق على السبع؛ لأنه يفترس المسافات جريًا[٣]. والفراسة بكسر الفاء في النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به، يقال إنه لَفارس في هذا الأمر إذا كان عالمًا به...، والفراسة بالكسر: الاسم، من قولك تفرَّست فيه خيرًا.... وتفرس فيه الشيء توسمه[٤].

وهي اصطلاحًا: الاستدلال بهيئات الإنسان، وأشكاله، وألوانه، وأقواله، على أخلاقه، وفضائله، ورذائله. وقد نبه الله على صدقها بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥][٥].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢/٥٨٧)، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود.

(٢) صحيح مسلم، (٤/١٨٦٤)،كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ١٩٩١م.

(٣) الفراسة دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم كأنهم كتاب مفتوح: الإمام فخر الدين الرازي، (ص٢١)، تحقيق وتعليق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة.

(٤) لسان العرب: ابن منظور، (ص ٣٣٧٩)، باب الفاء، دار المعارف، طبعة بولاق، ١٣٠٠هـ.

(٥) الفراسة دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم كأنهم كتاب مفتوح، (ص٢١) (في الهامش من كلام العلامة المناوي في كتابه فيض القدير شرح كتاب الجامع الصحيح).

والفراسة نوعان:

١- نوع يحدث للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه، وهو ضرب من الإلهام؛ وهو الذي يسمى صاحبه المُحدَّث، كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد كان يكون في الأمم قبلكم مُحدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم**»، قال ابن وهب: تفسير محدثون: مُلهمون، وقيل: مصيبون، إذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوه. وقيل: تكلمهم الملائكة. وقال البخاري: يجري الصواب على ألسنتهم[١].

وقد يكون هذا الإلهام حال اليقظة أو المنام، وحقيقته أنه خاطر يهجم على القلب، يثب عليه كوثوب الأسد على فريسته، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان؛ فمن كان أقوى إيمانًا فهو أحدُّ فراسة، وقد جاء في الحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[٢].

وقد جاء في الحديث القدسي الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته**»[٣]. والمراد أنه يجعله ينتفع بما يسمع من العلم والحكمة والمواعظ الحسنة والتجارب النافعة، ويجعله كذلك يرى بنور الله ما في السماوات والأرض من آيات، فيزداد إيمانه ويقينه.

---

(١) صحيح مسلم، (٤/١٨٦٤)،كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) عارضة الأحوذي، (١١/٢٨٩)، أبواب التفسير (من سورة الحجر). وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وهو عند الطبراني، ورواه البخاري في التاريخ، وضعفه الألباني.

(٣) فتح الباري، (١١/٤١٤)، كتاب الرقاق، باب التواضع.

٢. نوع يكون بصناعة متعلَّمة، وهي معرفة ما في الألوان، والأشكال، وما بين الأمزجة والأخلاق والأفعال الطبيعية، ومن عرف ذلك، وكان ذا فهم ثابت؛ قَوِي على الفراسة[١].

يقول الإمام ابن القيم: إن الفراسة كانت وستظل منزلة من منازل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وما ذاك إلا لأنها نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب[٢].

وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانًا فهو أحدُّ فراسة، ويقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف حين قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا، وابنة شعيب حين قالت استأجره، وأبو بكر في عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين استخلفه»[٣].

وقد كان كثير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتحلى بها، وكان الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مقدمتهم؛ فهو أعظم الأمة فراسة، ومن الأمثلة على فراسته: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: يا أبا بكر، رأيت كأني استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقبضك الله إلى رحمته ومغفرته، وأعيش بعدك سنتين ونصفًا[٤].

وبعده عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه ما قال لشيء أظنه كذا إلا كان كما قال، ويكفي في فراسته موافقته ربه في المواضع المعروفة، كما جاء في صحيح مسلم عنه قال: وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر. وجاءت أيضًا موافقته في تحريم الخمر، ومنع الصلاة على المنافقين، وحين احتج

(١) كتاب الفراسة دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم كأنهم كتاب مفتوح، (ص٢٢).

(٢) مدارج السالكين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (ص١١٥)، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

(٣) كتاب الفراسة دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم كأنهم كتاب مفتوح، (ص٣).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات عن ابن شهاب مرسلًا، كتاب الطبقات الكبير: محمد بن سعد، تحقيق علي محمد عمر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه في الغيرة، قال: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت الآية بذلك. قال النووي في شرح صحيح مسلم: فهذه ست، وليس في الحديث السابق ما ينفي زيادة الموافقة، والله أعلم[١].

وأصل هذا النوع من الفراسة من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده، فيحيا القلب بذلك ويستنير، فلا تكاد فراسته تخطئ، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

هذا العلم.. أيمكن تعلمه وتعليمه؟

لا يخفى على أي مهتم بهذا الفن أن هذا العلم شريف جدًّا، ولذلك امتن الله على نبيه يوسف بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾ [يوسف: ٦]، وكان نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعبر الرؤى، وكثيرًا ما سأل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن رؤاهم، كما في حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: «**هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟**»[٢].

والحقيقة أن لي وجهة نظر في هذه المسألة؛ أقصد إمكانية تعلم هذا العلم وتعليمه؛ وهي أنه يمكن تعلمه وتعليمه، وقد يكون في هذا الرأي غرابة لدى بعضهم؛ وذلك لكون هذا العلم أشبه بالإلهام والفراسة، وكأن فيه تشبهًا بالرسل، فوجد الحرج من هذه الجهة، ولكن آمل أن نطرح هذه المسألة للنقاش ليكون طرحنا موضوعيًّا. وإليكم أهم ما يجعلني أميل إلى هذا الرأي، وقد تكلمت عليه بالتفصيل في كتابي: **تعبير الرؤيا مصطلحات معاصرة أسئلة وأجوبة**[٣].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٤٠٩/٧)، كتاب الفضائل، باب من فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٨/٧)، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) تعبير الرؤيا مصطلحات معاصرة أسئلة وأجوبة، (ص ٩٦ وما بعدها)، الناشر: دار التدمرية.

قال النووي تعليقًا على حديث سمرة السابق: فيه استحباب السؤال عن الرؤيا، والمبادرة إلى تأويلها، وتعجيلها أول النهار، وفيه إباحة الكلام في العلم وتفسير الرؤيا، ونحوهما[١].

وقال ابن حجر تعليقًا على الحديث السابق -كما في الفتح-: فيه الحث على تعليم علم الرؤيا وعلى تعبيرها، وترك إغفال السؤال عنه، وفضيلتها؛ لما تشتمل عليه من الاطلاع على بعض الغيب، وأسرار الكائنات[٢].

وقال ابن عبدالبر- كما في التمهيد[٣]- تعليقًا على الحديث السابق: وهذا الحديث يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما كان يسأل عنها لتقص عليه، ويعبرها، ليعلم أصحابه كيف الكلام في تأويلها.

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب -كما في مجموع مؤلفاته-: علم التعبير علم صحيح، يمنُّ الله به على من يشاء من عباده[٤].

وقال في موضع آخر: عبارة الرؤيا علم صحيح، ذكره الله في القرآن، ولأجل ذلك قيل: لا يعبر الرؤيا إلا من هو من أهل العلم بتأويلها؛ لأنها من أقسام الوحي[٥].

وقد نبه الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في الموافقات أنه ما من مزية ومنقبة أعطيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سوى ما استثني، إلا وقد أعطيت أمته نموذجًا، وهذا يعلم بالاستقراء، ومن ذلك أنه أعطي الوحي له، ولأمته أعطيت الرؤيا الصالحة[٦].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٣١/٧)، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) فتح الباري، (٥٥٣/١٢)، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

(٣) التمهيد، ٣١٣/١.

(٤) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (١٣٠/٥)، تفسير آيات القرآن الكريم، مكتبة ابن تيمية.

(٥) المرجع السابق، (ص١٤٣).

(٦) موافقات الشاطبي، (٤١٥/٢، ٤١٦، ٤١٩) بتصرف، كتاب المقاصد، في بيان قصد الشارع في دخول المكلف تحت أحكام الشريعة، دار ابن عثمان، الخبر- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ١٩٩٧م.

وقال الإمـام مالك وقد سئل: أيعبر الرجل الرؤيا على الخير وهي عنده على الشر؟ فقال: معاذ الله! أبالنبوة يتلعب؟ هي من أجزاء النبوة[١].

وقال الإمام ابن السعدي في تفسيره: ومنها -أي الفوائد على الآية السابقة-: أن فيهـا أصـلاً لتعبير الرؤيا، فإن علم التعبير من العلـوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده[٢].

وقـال أيضًا: ومنهـا أن علم التعبير من العلوم الشرعيـة، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه، وتعليمه[٣].

ومما يدل على وجود التعلم والتعليم عند الصحابة- أشرف الخلق- ما ثبت أن عمـر بـن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يسـأل أسماء بنت عميـس الخثعمية عن تعبير الرؤيا كما في تهذيب التهذيب[٤].

وذكـر ابن سعـد أن سعيد بن المسيـب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من أعـبر الناس للرؤيا، وكان أخـذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر، وأخذته أسماء عن أبيها أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعـين[٥]، وأبـو بكر أخـذ هذا العلم مـن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الـذي كان يدعه أحيانًا يعبر بعض الرؤى، فيصوبه أحيانًا، وقد يخطئه، شأنه شأن أي معلم وتلميذه، وقد كان هذا التلميذ بارعًا في كثير من المواقف التي امتحن فيها، ولذلك نجده بعد إحدى المرات، وكان يعبر رؤيا رآها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لـه إعجابًا بتعبيره: كذلك قال الملك. ولكن حصل لـه أيضًا أن أخطأ في اجتهاده، وكان الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يجاملـه، بـل يخطئه؛ لـذا قال له مرة بعـد أن عبر

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٥/٧)، كتاب الرؤيا، باب تأويل الرؤيا.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرب المنان: السعدي، (٨١٠/٤)، تفسير سورة يوسف، دار ابن حزم، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.
(٣) المرجع السابق، (ص ٨١٦).
(٤) تهذيب التهذيب: ابن حجر، ٣٩٩/١٢.
(٥) كتاب الطبقات الكبير: محمد بن سعد، (١٢٤/٧)، في أهل المدينة من التابعين.

عنـده: أخبرني يـا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -بأبي أنت- أصبـت أم أخطأت؟ فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا.

كذلك حـدث لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا مواقف تعليمية مع أبيهـا، فكانت تعرض عليه الـرؤى، وحدث لها مع رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعض المواقف؛ لذا فقد عنفها مرة حـين عبرت رؤيا لامرأة بأن زوجها يموت وتلد غلامًا فاجرًا بقوله: «مه يا عائشة، إذا عـبرتم الرؤيا للمؤمن فاعبروها له على الخير»[1]، والشاهد من الحديث طلب الرسـول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أن تسلك منهجًا محددًا في التعبير، وهو صرفها على الخير.

وقـد ذكر الإمـام ابن خلدون في مقدمته أن هذا العلـم من العلوم الشرعية، وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها، وتعبيره موجود في السلف والخلف، ولم يزل هذا العلم متناقلًا بين السلف[2].

أبرز الصحابة الذين كانوا يعلِّمون هذا العلم لغيرهم

مـن الأمثلة التي يمكن إيرادها هنـا ما ورد من أن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان يسـأل أسمـاء بنت عميس الخثعمية رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عن تعبـير الرؤيا، وهي صحابية تزوجها جعفر بن أبي طالب، ثم أبو بكر، ثم علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وولدت لهم، وهي ممن روى لها البخاري، وغيره.

وورد أن سعيـد بـن المسيب -وكان من أبرز من بـرع في هذا الفن- أخذ هذا العلم من أسماء بنت أبي بكر، وأخذته أسماء عن أبيها أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، وبالمناسبة فسعيد بن المسيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان يضاهي ابن سيرين، إن لم يتفوق عليه،

(١) سبق تخريجه.

(٢) مقدمة ابن خلدون، (ص٣٨٩).

وقد قال عنه محمد بن عمر -كما في الطبقات-: وكان سعيد بن المسيب من أعبر الناس للرؤيا، وكان أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر، وأخذته أسماء عن أبيها أبي بكر. كذلك أخذت عائشة هذا العلم عن أبيها أبي بكر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين[١]. وقد ورد أن أبا بكر كان أعبر هذه الأمة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ثبت أنه كان يسأل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تعبيره للرؤى، ومن الأمثلة أنه حين ذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عرض عليه وله قميص يجره، فقال له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما أولته؟ فقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدين**». وممن نص على أن القائل هو أبو بكر ابن حجر في الفتح.

الجوانب التي يجب الأخذ بها عند تعبير الرؤى

الرسم الآتي يوضح بصورة مبسطة جوانب تعبير الرؤيا:

فالمعبِّر عند قصِّ الرؤيا عليه ينظر إلى جوانب متعددة، وضَّحتها في الرسم السابق، ويلاحظ أنَّ الأقسام العلوية هي ذات علاقة باللفظ، والأقسام التي في الأسفل لها علاقة بصاحب الألفاظ أو صاحب الرؤيا، والزمن الذي رؤيت فيه الرؤيا.

ولنضرب هنا مثالًا بما رواه البخاري في صحيحه: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قُمُص، منها ما يبلغ الثُّدِيَّ، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومرَّ عليَّ عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وعليه قميص يجرُّه**». قالوا: ما أوَّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الدِّين**»[٢]. فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا عبر القميص بالدِّين، ولسائل أن يقول: لماذا عبَّر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القميص هنا بالدِّين؟

---

(١) كتاب الطبقات الكبير: محمد بن سعد، (١٢٤/٧)، في أهل المدينة من التابعين.

(٢) فتح الباري، (٤٨٨/١٢)، كتاب التعبير، باب القميص في المنام.

لو نظرنا في القرآن لزال عنا هذا التساؤل، فقد قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]؛ **لذا** عبَّرها الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هنا بالدِّين، وكذلك فإنَّ هنـاك علاقة من حيث المعنى؛ فالقميص يستر العورة في الدنيا، والدِّين يسترها في الآخرة، ويبعد عنها كل مكروه.

إذًا فالرسـول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هنا من خلال تفرُّسه بالرؤيا فسَّرها من الجانب الأقـوى فيها، وهو القرآن الكريم، والأمثلـة على هذا كثيرة، ومنها: تعبير السفينة بالنجـاة، والخشب بالمنافقين، والحجـارة بقسوة القلب، وأكل لحم الرجل بغيبته، والنعاس بالأمن... وغيرها.

ونضـرب أمثلـة أخرى لإمكانية فـك رموز الرؤى من خـلال السنة المطهرة؛ فرؤية النخلة قـد تعبَّر بالرجل المؤمن؛ لتشبيه الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الرجل المسلم بالنخلـة، والحديـث عن ابن عمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن من الشجـر شجـرة لا يسقـط ورقها، وإنهـا مَثَـلُ المُسْلم، فحدثوني ما هـي؟**»، فوقع النـاس في شجر البوادي، قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ قال: «**هي النخلة**»[(١)].

ورؤيـة قـارورة المـاء تعبر بالمـرأة؛ لقـول الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كمـا ثبت في الصحيح: «**رفقًا يا أنجشة بالقوارير**»[(٢)].

ورؤية الثوب تعبر بالدين، كما عبر الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الثوب الذي رآهُ لعمر وهو يجره بالدين.

إذًا مـن هنـا أستطيـع أن أوضِّح للقـارئ الكريم **مراحـل تعبيـر الرؤيا**، في الشكل الآتي:

---

(١) فتح الباري، (١/١٩٣)، كتاب العلم، باب قول المحدث (حدثنا) أو (أخبرنا)، و(أنبأنا).

(٢) الحديث: عن أنس بن مالك قال: كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مسير له، فحدا الحادي، فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ارفق يا أنجشه- ويحك- بالقوارير**» (وفي رواية: رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير). فتح الباري، (٧٢٥)، كتاب الأدب، باب في المعاريض مندوحة عن الكذب.

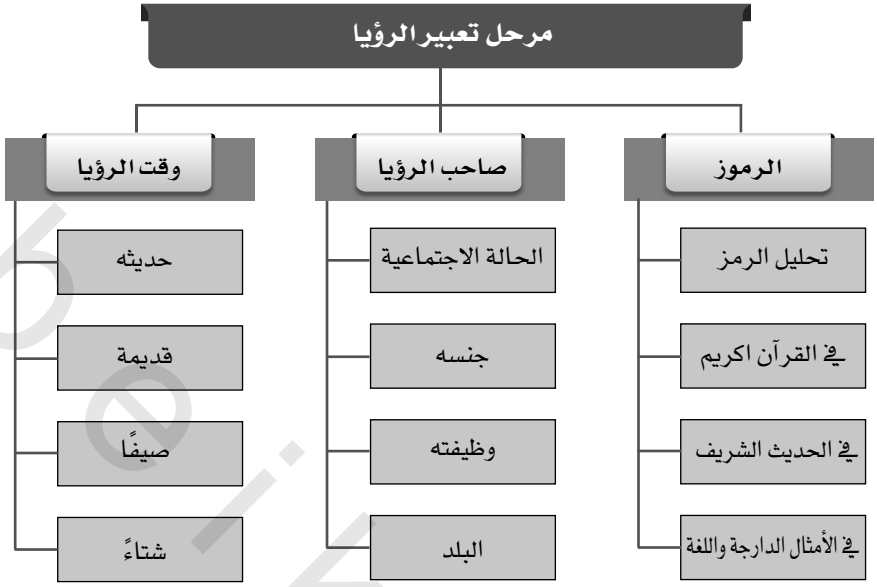

ومثال آخر ما رواه مسلم في صحيحه في كتاب الرؤيا: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنَّا في دار عُقبة بن رافع، فأُتينا برُطَب من رطب ابن طاب، فأوَّلتُ الرِّفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة، وأنَّ ديننا قد طاب**»[1].

لاحظ تعبير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الرؤيا تجده قد عبرها من جانب اللغة واشتقاقاتها، دون الربط بين التعبير وجانب القرآن، والسنَّة مثلًا، وهذا تلاحظه من خلال تأمُّلك في التعبير؛ فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوَّل عقبة في الرؤيا: بحُسن العاقبة في الحقيقة، وهذا في الآخرة، وأوَّل رافعًا في الرؤيا: بالرِّفعة والانتصار، وهذا في الدنيا، وأوَّل الرطب من رطب ابن طاب: باستقرار الدِّين وكمال أحكامه، ومن المعروف أن الرطب هو آخر مراحل النضج بالنسبة إلى التمور، ولهذا -والله أعلم- عبَّرها الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باستقرار الدِّين وكماله وانتهاء أحكامه، وأخذ من كلمة طاب معنى الاستقرار أيضًا.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٥/٧)، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولـو تساءلنا عن سبب تعبيرها من الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جانبها اللغوي والاشتقاقي، فالجواب: لأنه أقوى في هذه الرؤيا من الجوانب الأخرى، والمعبِّر وهو هنـا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من فراسته وعلمه الذي هو من علم الله عَزَّوَجَلَّ، فهو لا ينطق عن الهوى، عبَّرها من هذا الجانب، لذا فالمعبرون عند قصِّ الرؤيا عليهم يبحثـون عن الجانـب الأقوى، أو جانب الرؤيا الجيد، والـذي من خلاله يفترسون هـذه الرؤيا، ولا يخفى على القارئ الكريم أنَّ افتراسهم للرؤيا هو معرفة تعبيرها من خلال النظر والتأمُّل فيها.

أهمية التعبير من خلال السنة المطهرة

جـاء في الحديث عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا[١]؟

- قـال النووي في شرح صحيح مسلم، تعليقًا على حديث سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق: فيـه استحباب السؤال عن الرؤيا، والمبادرة إلى تأويلها، وتعجيلها أول النهار، وفيه إباحة الكلام في العلم وتفسير الرؤيا، ونحوهما[٢].

- وقال ابن حجر تعليقًا على الحديث السابق -كما في الفتح-: الحث على تعليم علـم الرؤيا وعلى تعبيرها، وتـرك إغفال السؤال عنـه، وفضيلتها؛ لما تشتمل عليه من الاطلاع على بعض الغيب، وأسرار الكائنات[٣].

- وقال ابن عبدالبر تعليقًا على الحديث السابق: وهذا الحديث يدل على شرف علـم الرؤيـا وفضلها؛ لأنـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما كان يسـأل عنهـا لتقص عليه، ويعبرها، ليعلم أصحابه كيف الكلام في تأويلها[٤].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٨/٧)، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
(٢) المرجع السابق، (٢٣١/٧).
(٣) فتح الباري، (٥٥٣/١٢)، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.
(٤) كما في التمهيد، ٣١٣/١.

- وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع مؤلفاته: علم التعبير علم صحيح، يمنُّ الله به على من يشاء من عباده[١].
- وقال في موضع آخر: عبارة الرؤيا علم صحيح، ذكره الله في القرآن، ولأجل ذلك قيل: لا يعبر الرؤيا إلا من هو من أهل العلم بتأويلها، لأنها من أقسام الوحي[٢].
- وقد نبه الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الموافقات أنه ما من مزية ومنقبة أعطيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سوى ما استثني، إلا وقد أعطيت أمته نموذجًا، وهذا يعلم بالاستقراء، ومن ذلك أنه أعطي الوحي له، ولأمته أعطيت الرؤيا الصالحة.

الأمور التي تعتمد عليها في تعبير الرؤيا؟

عندما أسمع الرؤيا من أحد المتصلين، فإما أن تكون الرؤيا على ظاهرها، أو تكون رؤيا مرموزة؛ أي ذات رموز غير معلومة للرائي، فإن كانت على ظاهرها فهي لا تحتاج إلى تعبير؛ ومثال هذا النوع رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، كما جاء في الحديث الصحيح، وذلك قبل أن يتزوجها، وقال بعد أن شاهدها: «**إن يكن هذا من عند الله يمضه**»، فهذه الرؤيا لم يعبرها الرسول عليه الصلاة والسلام، واكتفى بظاهرها؛ ويعني زواجه بعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وإن كانت الرؤيا مرموزة فطريقتي أن أربط بين الرمز وما يأتي مرتبًا:

١- القرآن الكريم، ويحوي عديدًا من الأمثلة، كالبقر جاء بمعنى السنوات، والسمنة خصب ورخاء، والشجرة الطيبة بمعنى الكلمة الطيبة؛ لذا فلا بد من الاطلاع على هذا الكتاب العظيم، والتزود من منهله العذب.

٢- السنة النبوية، وتحوي عديدًا من الأمثلة كذلك، ومنها مجيء القوارير بمعنى النساء، والقصر بمعنى العمل الصالح، وغيرها كثير؛ لذا فلا بد من العلم بالأحاديث النبوية.

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (١٣٠/٥)، تفسير آيات القرآن الكريم.

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (١٤٣/٥)، تفسير آيات القرآن الكريم.

٣- اللغة العربية ومفرداتها واشتقاقاتها.

٤- الأمثال السائدة بين الشعوب.

٥- وقت الرؤيا الذي رئيت فيه؛ صيفًا أو شتاء؛ لأن هناك ما تكون رؤيته في الصيف محمودة كشرب البارد، والسباحة فيه، ولبس الخفيف من الثياب، وغيرها، وهناك ما تكون رؤيته محمودة شتاء؛ كالقرب من النار والاصطلاء بها، وشرب الحار، والاغتسال بالحار، وغيرها.

٦- المعلومات الخاصة بالرائي؛ كالجنس؛ ذكرًا أو أنثى، والحالة الاجتماعية؛ متزوجًا أو غير متزوج، والعمل، والديانة، وهل هو من أهل الصلاح، أو العكس.

جوانب الرؤيا

أَلْفِتُ هنا إلى أنَّ جوانب الرؤيا ليست منفصلة لا علاقة بينها، بل هي مترابطة؛ بمعنى أنَّ المعبِّر يجب ألا يغفل واحدًا منها، فرؤية التمر وأكله مثلًا لا تكون محمودة إلَّا إذا عضدها الجانب اللغوي والزمني، ورؤية النار لا تكون مذمومة دائمًا إذا كانت شتاءً وعضدها الجانب الاشتقاقي في الرؤيا، ويمكن لنا القول إنَّ الشكل الآتي يوضِّح لنا جوانب الرؤيا متداخلة:

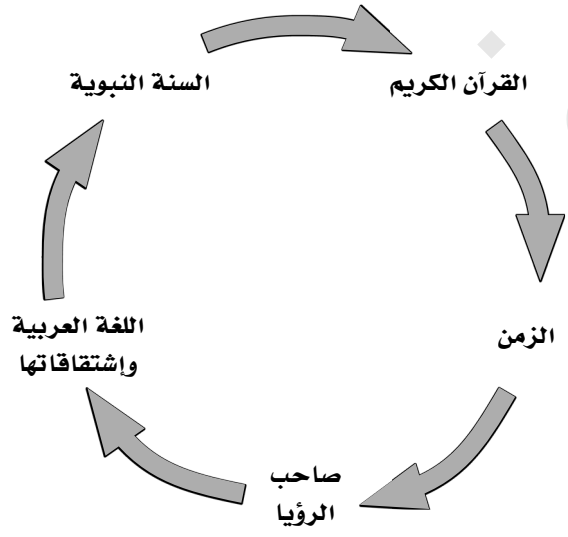

وهـذه الدائرة تـدور في ذهن المعبِّر حال سماعه للرؤيا، وفي وقت يسير جدًّا؛ يحاول أن يربط الرؤيا بواحد من الجوانب للوصول بسلام إلى شاطئ النجاة، وهو تعبيرها، ولذلك سمِّي التأويل تعبيرًا.

هنا أقدِّم بعض التوجيهات لمَن أراد التعبير:

١- التسلـح بسلاح العلـم الشرعي؛ من القـرآن الكريم، والسنَّـة النبوية، واللغة العربية ومرادفاتها وألفاظها، ومعرفة زمن الرؤيا، والتحرِّي عن صاحبها.

٢- مراعـاة الآداب الشرعية عنـد التعبير، والاقتداء بخير الخلـق عليه الصلاة والسلام.

٣- عدم إفزاع الناس وإرهابهم بما يتوصل إليه -ظنًّا- من الرؤى.

٤- عـدم الجـزم بالتعبير من المعبريـن، أو الحلف علـى التعبير؛ فتعبـير الرؤى مرجعه الظن كما يتبين لنا.

٥- عدم الإكثار من هذا النوع من العلم في كل جلسة أو محاضرة؛ لأنَّ هذا يُفضي إلـى التساهل في التعبير بعدم مراعاة الضوابط التي ذكرتها في جوانب تعبير الرؤيا، فضلًا عن أنَّ مَن أكثر في فنٍّ احترق فيه، وهذا معلوم.

٦- ألَّا يذكر المعبِّر عن نفسه أنه ممن يعبِّر فراسةً أو إلهامًا؛ لما في هذا من تزكية النفس، وقد أُمرنا بألَّا نُزكي أنفسنا.

٧- أن يحاول المعبِّر -ما استطاع- أن يصرف الرؤى إلى الخير، فإن لم يجد لذلك سبيلًا فعليه عدم تعبيرها والاحتراز منها.

٨- عـدم الركون إلى الأحـلام والأوهام، فما كثرة اشتغـال الناس بهذا العلم في هـذا العصر، وكـثرة الداخلين فيـه، والمستفسرين عنه إلَّا دلالـة -وإن كانت محزنـة- على أننا أصبحنا أمة أحلام، تهـرب من واقعها المرير والمحزن إلى

الأحـلام، ومن ثم بناء القصور، وتحقيـق الانتصارات، والصلاة في القدس، وهزيمـة الجيوش، والسيادة على الأمـم، لا بالعمل بل بالحلـم، وهذا واقعنا المـرُّ، ولا بدَّ من الاعتراف به أولًا لكي نصححه ونعالجه، ومن ثم نتخلص من هذا الوهن والخور.

٩- علـى المعبِّر أن يحافظ على أسرار الناس السائلين له عن رؤاهم، ولا يبوح بها مفاخرًا أو متهكمًا.

نعـم، لا بدَّ أن نلحق بركب الدُّول المتقدمة في العلم والقوة والاقتصاد حقيقةً لا حلمًا، ألا هل بلَّغت؟ اللَّهم فاشهد.

هل تجعل مني براعتي في تفسير رؤى أهلي وأحلامهم معبرًا؟

مـن الناس -رجلًا كان أو امرأة- من يقرأ في علـم تفسير الرؤى والأحلام، ويتطـور حبه لهذا العلـم لمحاولة تفسـيره لأحلامه، وقد يتطور هـذا للتفسير لمن حوله، بخاصة للقريبين جدًّا منه، وقد ينجح في تفسير بعضها أو كثير منها، حسب براعته وملكته وثقافته.

قـد تنجـح البنت حين تسمع من أمها عدة رؤى وفيهـا من الرموز رمز المطر يتكرر -وهذا على سبيل المثال لا الحصر- أن تتعرف الصواب في تحديد معناه في رؤيا أمها بخاصة، وهذا ممكن، لكن سؤالي هو: هل ستنجح حين تجلس أمام كثير مـن النساء، وقد لا تكـون تعرفهن، في معرفة معنى الرمز نفسه وتوقعه على معناه المناسب لكل من يسألها؟

قـد ينجح أحدهم بتعبير رؤيا زميله مرة من المرات، من خلال القياس مثلًا علـى تعبير رؤيـا عبرها أحد البارعين بهذا الفن، ولكنه لـن يستطيع أن يعبر رؤى مشابهة لغير صديقه هذا؛ للاختلاف بين صديقه وغيره من السائلين، وهذا يشبه كثـيرًا من يعطي ابنه دواء لتسكـين الحرارة، ولكنه غير قادر، بـل وقد يعد جانيًا عليـه إن صـرف له دواء آخـر في حالة مرضية أخرى، فالمسألـة هذه خطرة جدًّا،

فالرؤى لا يقاس بعضها على بعض في التعبير، وهنا الصعوبة؛ ولذا فليس المقياس في براعة فلان أو فلانة، نجاحه في التفسير لأهله وذويه فحسب، بل المعيار أوسع وأشمل من هذا؛ لذا قلت ما قلت سابقًا؛ أنَّ أراد أن يكون معبرًا ناجحًا فلا بد له من التمرس، وهذا يكون بتعبير الرؤى لعينات كثيرة ودون معرفة عميقة بهم، وإيقاع الرؤيا على المعنى الصحيح المراد، بتفصيلها على مقاس صاحبها.

إن نجاح الإنسان في تعبير رؤى زملائه، ونجاح الإنسان في تعبير رؤى أهله، ليس كافيًا لإطلاق لقب (معبر) عليه، وما يطرح بين أحيان وأخرى حول هذا الموضوع من قصص لبعضهم في نجاحهم بتعبير رؤى أو أحلام الأهل أو الأصدقاء يندرج تحت هذا الباب، فأرجو الانتباه لهذا الفرق.

هل للجانِّ تأثير في الرؤى والأحلام؟

نعم للشيطان علاقة مباشرة بالأحلام، كيف لا والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الرؤيا من الله والحلم من الشيطان**»[(١)]؟ ونسبة الحلم إلى الشيطان حقيقية لا مجازية، وهناك من قال من العلماء إن نسبة الحلم للشيطان مجازية لحضوره عندها، وقد أثبتُّ خطأ هذا القول، إذ إن الحديث صريح بنسبة الحلم إلى الشيطان حقيقة لا مجازًا، وسقتُ كثيرًا من الأمثلة من الأفعال التي تنسب للشيطان حقيقة لا مجازًا، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿**ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ**﴾ [محمد: ٢٥]، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الشيطان حين يسمع الأذان يهرب وله ضراط**»[(٢)]، ومثل عقده على أذن النائم.. وغير ذلك من الأفعال التي تنسب إلى الشيطان حقيقة لا مجازًا، والحلم والكوابيس من هذه الأمثلة.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٠٥/٧)، كتاب الرؤيا، باب في كون الرؤيا من الله... إلخ.

(٢) الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي النداء أقبل، حتى إذا ثوِّب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظلَّ الرجل لا يدري كم صلى**».

فتح الباري، (١٠٨/٢)، كتاب الأذان، باب فضل التأذين.

هل يمكن تعبير رؤى المجنون والمريض...؟

وردني السؤال الآتي: هل يمكن تعبير رؤى المجنون، والمريض قبل دخوله غرفة العمليات، ومريض الأعصاب، والكبير في السن؟

وأرى الآتي:

١- المجنون قد يخبرنا برؤيا رآها ويمكن تعبيرها، ولكن لا شك أن الجنون درجات، فبعض منهم قد يكون قادرًا على إخراج ما رآه، وقادرًا على إفهام من يحدثه، وأما المرضى المنجوليين، ففي الغالب أنهم لا يقدرون على إيصال ما رأوه؛ لذا فقد يتعذر التعبير لهم.

٢- المرضى الذين يرون ما قبيل العمليات ما يدل على بشائر لهم، فهذا يعبر، وقد يساعدهم المعبر المتفائل على الرغبة في الشفاء، ويقوي عزائمهم، وأما ما يرى بعد العمليات وما بعد تأثير البنج أو في أثنائه، فلا، وهي من الهلوسة، كما يفعل ذلك من غاب بسبب المسكر، عافانا الله وإياكم.

٣- وما جاء في القسم الثالث، فهم مثل المجنون الذي يستطيع أحيانًا إفهام المعبر، فيجري عليه ما قلناه هناك.

٤- كبار السن؛ ممن ابتلوا بمرض الزهايمر، يؤخذ بما يقولونه في أثناء كونهم في لحظات يقدرون فيها على الحوار، ومن ذلك إذا ما قصوا رؤيا مثلًا، والله أعلم.

لا تساوم على أسرار السائلين

هذه الوقفة المهمة موجهة للمعبرين الذين ائتمنهم الناس على أسرارهم ووضعوا فيهم كامل ثقتهم، وقد يكون في رؤاهم أسرارٌ ومواضيع خاصة، ولا يرغبون في كشفها، فالواجب كتمُ أسرارهم، وعدمُ إفشائها فالمستشار مؤتمن.

ولا يخفى أنَّ بعض الرؤى يلزم منها كشفُ بعض الأمور الخاصة بالرائي، وقد يُخبر بعضُ السائلين ببعض أسرارهم، ويكون فيها مثلًا مرضٌ نفسي، أو خطبةُ بنت، أو قطيعة رحم، أو مشكلةٌ خاصة بأحد الأبناء، أو مشكلةٌ مع الوالدين، أو مشكلةٌ مع دَيْن، أو مع جهة حكومية...، وهكذا القائمة تطول، فالله الله في هؤلاء! اكتموا عليهم أسرارهم، ومهما سُئلتم عن هذه الرؤى فلا تخبروا بها أبدًا، ونصيحة لكل معبر: لا تساوم على أسرار السائلين.

رؤيا من التراث

ذكر ابن الجوزي في كتابه **الأذكياء**: قال عيسى بن محمد الطوماري: سمعت أبا عمرو محمد بن يوسف القاضي يقول: اعتل أبي علة شهورًا، فانتبه ذات ليلة، فدعا بي وبإخوتي وقال لنا: «رأيت في النوم كأن قائلًا يقول: كل لا واشرب لا فإنك تبرأ»، فلم ندر تفسيره. وكان بباب الشام رجل يعرف بأبي علي الخياط، حسن المعرفة بعبارة الرؤيا فجئنا به فقص عليه المنام، فقال: ما أعرف تفسيره، ولكني أقرأ كل ليلة نصف القرآن فأخلوني الليلة حتى أقرأ رسمي وأتفكر.

فلما كان من الغد جاءنا، فقال: مررت على هذه الآية لا شرقية ولا غربية، فنظرت إلى لا وهي تردد فيها، اسقوه زيتًا وأطعموه زيتًا. ففعلنا وكانت سبب عافيته.

- **سؤال**: من أين استنبط المعبر التفسير؟
- **سؤال**: هل هذا التعبير يمكن قياسه دائمًا على الرؤى المشابهة، أو هو أقرب في حال المرضى فقط؟